" إلى كل من يجد فى البحث عن الحقيقة"

(الظمـــآن) *

وأعـــرف أنـــك بالحب تـــزخـــرْ ... ومـوجـك عطـــر وشهـــد وكوثـــرْ
ويمتد خلـــف المـــدى شـــاطئـاكَ ... وفـــى راحتيـــك الأغـاريـد تُنثَرْ
وحـــولك تضْـــوى ظـــلال الحيـــاة ... وكـــل الفصـــول انبعـــاث معطَّرْ
وفـــى قاعك الخصـــب كل الكنـــوز ... وأنْتَ من الكـــنز أسخـــى وأكْبَـرْ
ويسكـــب فيك الضحـــى ضـــوءه ... وفى ضفتيـــك الأصـــائل تَسْهـــرْ
ولكـــن : برغـم الذى تحتويـــه ... وليـــل الشواطـــىء حـــولك مُقمِرْ
لمـــاذا بعينيـــك أفْق الشـــرود ... وخطـــوك فى قيده يتَعَثَّـــرْ ؟
أكـــل الـــزوارق فيـــك تُغنِّى ... وأنـــت بكـــل الموانـــىء تُكْسَرْ ؟
أتـــرحل لكـــن بلا غايـــة ... وأنـــت لكـــل النهايـــات مَعْبَـرْ ؟
أتظمـــأ والأفْـــق منـــك ارتْـــوَى ... ووجـــه الليالـــى بفيضـــك أخْضَرْ
أجبنى فإن الريـــاح بقلبـــى ... تشـــب العواصـــف والأفـــق أغْبَرْ
وأبصـــر خلـــف جفونك ســـراً ... بكـل التفاســـير والظَّنُّ يَسْخـــرْ

* *

" صابر عبد الدايم "

* نشرت هذه القصيدة بمجلة الأديب اللبنانية ١٩٧٨ .
* ونشرت بمجلة الهلال

" بسم الله الرحمن الرحيم "

((وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب))

مقـــــدمة

الحمد لله رب العالمين . الذى أودع الانسان قلبا ينبض وروحا تشتاق إلى الكمال، والصلاة والسلام على أفصح العرب لسانا وأصفاهم جنانا ، وأرشدهم عقلا ، وأوضحهم بيانا .. أوتى جوامع الكلم .. وقرأ باسم ربه أسرار الكون وهتف فى محبة وصفاء .

" أدبنى ربى فأحسن تأديبى "

وبعـــد

فمما لاشك فيه أن المؤرخ للأدب العربى الحديث لا يستطيع إغفال صورة هذا الوجه الجديد الذى أطل به هؤلاء الأدباء المهاجرون إلى الشمال وراء البحار .

وتتداعى ملامح هذا الوجه وتتجاذب لتكون فى النهاية الصورة العامة للأدب المهجرى وهذا الأدب بصورته الجديدة لم ينفصل عن الأدب العربى العريق ؛ وإنما كان لبنة أضيفت إلى صرح أدبنا الشامخ فشاركت فى إعلاء البناء وشموخ التشييد .

واذا كانت الطبيعة الكونية لا توجب أن يجىء الابن على كامل هيئة أبيه بكل ما لديه من مواصفات ومنازع وأهواء ، وهذه سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسُنَّة (١) الله تبديلا " فإنه لا يستغرب أن يجىء الأدب المهجرى بصورته الجديدة فهذا هو المنطق الصحيح لطبائع الأشياء ، وإلا لما كان أدبا قويا يملأ فراغا فى الوجدان والكون .

وليس معنى هذا أنه منفصل تماما عن جذوره ومنابعه التى تتمثل فى المسيرة الطويلة العريقة لأدبنا العربى ، وإنما هو يرتبط به بأوثق الصلات ارتباط الانتماء والروح والبقاء .

ولا يضيره أن يكون مصبوغا بلون الآداب الأوروبية أو غيرها من الآداب الأجنبية فالتأثير والتأثر هما رئتا الحياة لكل من تداعبه أحلام الاستمرار.

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٦٢) .

ولهذا.....

رأيتنى اتجه إلى التنقيب فى هذا الأدب مدفوعا باستمتاعى الذاتى به ، ورغبة الباحث فى إظهار ماكمن من كنوزه الثمينة.

وأطلتُ النظر فيه ، وعايشتُ نصوصه ، وطالعت سيرة أدبائه ، وتأملت حياتهم الشخصية محاولا الربط بين حياتهم ونتاجهم ما أمكننى ذلك فى حدود الموضوع الذى أدرسه.

ورأيت أن ظاهرة التأمل تسيطر على روح الأدب ، وتسرى فى عروقه ، وتكاد تكون وجها مميزا له يضعه فى قائمة خاصة حينما تتفاضل الآداب وتتنازع حق البقاء.

ورأيت أن هذه الظاهرة يجب أن تحتل مكان الصدارة فى حقها من الاهتمام الذى يوليه الدارسون لهذا الأدب . لأنها طفرة فى عالم الفكر والإحساس بعثت من جديد لغة الإشراق والتأمل الباطنى ، والبحث عن الأسرار وما خلف الأشياء من عوالم مبهمة لا يلج غموضها إلا من أوتى حظا غير ضئيل من اللغة الكونية وأعارته الروح جناحيها المحلقين فى عالم الغيب والشهادة.

– ومن تتبعى للدراسات التى تعرضت لإبراز قيمة هذا الأدب.رأيت أنها تدرسه من الوجهة الكلية ، مما يعطى لها صفة التعميم وبعدها عن دائرة المعالجة الجزئية الفنية.

– وفى مقدمة هذه الدراسات يأتى كتاب ((أدبنا وأداباؤنا فى المهاجر الأمريكية)) وهو رصْد يكاد يكون شاملا لمسيرة هدا الأدب فى الغربة القاسية المبدعة وكان جهدا فعالا أعطى دوره فى وقته .

وكتاب " الشعر العربى فى المهجر " لمحمد عبد الغنى حسن " وهو لمحات نقدية ثم ترجمات لأشهر أدباء المهجر اعتمدت على الذاتية النقدية والهوى الشخصى بدافع من صلته الحميمة بهؤلاء الأدباء.

وكتاب "أدب المهجر" للناعورى . وهو دراسة مستفيضة اتسمت بالوجهة النقدية التحليلية والتنويه بروائع هذا الأدب .

وكتاب "التجديد فى شعر المهجر " للدكتور محمد مصطفى هداوة . وهو متسم بالروح العلمية والاتجاه الرأسى فى البحث . حيث عالج موضوع التجديد فى شعر المهجريين و يلاحظ

انه اقتصر على الشعر وعلى موضوع محدد . وكان باكورة طيبة وسّع دائرتها وإن لم يضف جديدا د/ أنس داود فى كتابه " التجديد فى شعر المهجر " الذى نال به درجة الماجستير.

وكتاب "الأدب العربى فى المهجر " للدكتور حسن جاد . وهو اضافة جادة لما سبق من الدراسات حول هذا الأدب . وهو دراسة شاملة فيها ملامح تاريخية ونقدية مع دقة فى البحث وجمال فى الأسلوب ، ورصانة فى العبارة ، وولع ذاتى بهذا الأدب .

وكتاب " قصة الأدب المهجرى " للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى . وهو يتكون من جزأين ويسير فى الاتجاه نفسه . وإن كان قد اعتمد فى كثير من مباحثه على المقابلات الشخصية وهذه وجهة جديدة أضافها د/ خفاجى فى كتابه .

وكتاب " الشعر العربى فى المهجر " أميركا الشمالية " للدكتور احسان عباس ومحمد يوسف نجم ، والمؤلفان فتحا آفاقا جديدة في مجال البحث فى هذا الأدب حيث عالجا بعمق الاحساس الباطنى لدى شعراء أميركا الشمالية وغاصا فى نفوسهم واستبطنا نواتهم . وقامت دراستهما على الاستبطان والاستقراء وتحليل النموذج من الداخل للنفاذ منه إلى القاعدة .

وأشهد أننى استفدت من منهج هذا الكتاب فى هذه الدراسة استفادة بالغة مثمرة ، وكتاب "النثر المهجرى" أدباء أميركا الشمالية . للدكتور عبد الكريم الأشتر وهذا الكتاب يقف موازيا للكتاب السابق فى منهجه وطريقته فى التحليل حيث بحث اتجاهات المهجريين فى فنون النثر من قصة ورواية وسير ذاتية وتراجم غيرية ومقالة فنية . ودرس الأدوات التعبيرية عندهم وهو إضافة مبدعة إلى رصيد هذا الأدب من الدراسات .

– وبعد إستقراء هذه الدراسات السابقة وغيرها من الدراسات الجزئية الأخرى . لاحظت ان ، نزعة التأمل لم تحظ باهتمام الدارسين بصفتها اتجاها مستقلا . مكانه فى الأدب المهجرى مكانة القلب من الجسم . أثره يسرى فى كل الأعضاء وكلها تنتمى إليه وتحيا به ولا يمنع من أن تكون له خواصه ووظائفه المستقلة.

كذلك " التأمل " يتغلغل فى كيان هذا الأدب وتكاد تنتمى إليه كل لمحة من لمحاته.

وإن ذلك لا يمنع من تفرده بخصوصيات تعطى له مدلولا خاصا وبواعث أنتجتها الظروف ، وموضوعات وأدوات فنية وطرائق تعبيرية .

ومن هنا تأتى أهمية دراسة الموضوع " النزعة التأملية فى أدب المهجر " وهو لبنة تضاف إلى الصرح الشامخ الذى شاده الباحثون قبلى وأعلوا به مكانة هذا الفن وما زال الباب مفتوحا فطوبى للداخلين .

ولهذا وجهت جهدى ووجدانى إلى خوض غمار ذلك الموضوع .

ووجدت أمامى عقبات كثيرة ترجع إلى ما يلى :

أ - البحث فى مثل هذا الموضوع يحتاج إلى بعض الدراسات النفسية التى تفسر علي ضوئها آثار هؤلاء الأدباء .

ب - لابد من معرفة المؤثرات التى تأثر بها هؤلاء الأدباء والمنابع التى استقوا منها أفكارهم وهى تتمثل فى :

١ - مؤثرات أدبية :

فهم تأثروا باتجاهات كثيرة وخاصة بالأدب الأوروبى والحركة الرومانسية والاتجاه الرمزى فى أوربا خلال القرنين التاسع عشر والثامن عشر .

٢ - مؤثرات فلسفية :

حيث قرأوا فلسفات الشرق مثل فلسفة الهند وفارس واطلعوا على الفلسفة الإسلامية وتأثروا بها وبروادها .

وكذلك الفلسفة اليونانية ، وإن كانت هذه مؤثرات عامة إلا أن بصماتها التى ظهرت فى أدبهم تكسبها شيئا من الخصوصية في التأثير فى نتاجهم ومعتقدهم .

٣ - مؤثرات دينية :

حيث تفتحت عيونهم على حضارة الشرق وديانانه وحضارة العرب التى تحمل السمات الإسلامية والمسيحية وبعض آثار اليهودية إلى جانب ملامح باهتة من معتقدات قديمة تسربت من بقايا بابل وأشور وآمون .

ومن هنا كان لزاما على أن أمزج اطلاعى على آثارهم ونتاجهم بمطالعتى للمراجع التى تعالج هذه الاتجاهات وهى متعددة ومتنوعة .

- وقد تعرفت على سيرة بعض المتصوفين مثل ابن الفارض والحلاج ، ومحيى الدين بن عربى وقرأت أشعارهم الصوفية وخاصة " التائية الكبرى " لابن الفارض وعشت فترات مع بعض نصوص الانجيل . وأتيح لى ان أطالع بعض النصوص التوراتية حتى أفهم عن قرب اتجاهاتهم العقائدية .

ورأيت فى القرآن سندا قويا أدافع به عن رأيى الذى أخالف به بعض آرائهم إن كانت تمس العقيدة الصحيحة . وليس هذا حجرا عليهم بل إظهارا للحقيقة التى يجب أن تكون.

- وقمت بمطالعة نصوص من الشعر الأجنبى للمقارنة بينها وبين نتاج بعض المهجريين والوقوف على مدى التاثير أو التأثر.

- وكتاب : " ثورة الشعر الحديث " للدكتور عبد الغفار مكاوى كان معينا قويا فى هذا المجال . حيث اشتمل على جزأين : الأول دراسة والثانى نصوص مترجمة إلى جانب البحوث والمقالات وتراجم الأدباء التى ترد تباعا بالمجلات الأدبية المنتظمة.

ورأيتنى أنهل من المصادر الأساسية والينابيع المثمرة المتمثلة فى دواوين المهجرين وكتبهم وقصصهم ورواياتهم .

وقمت بمراسلة الشاعر المهجرى : رياض المعلوف " وتعددت الرسائل العلمية بينى وبينه. وانتزعت منه اعترافات صريحة مباشرة عن رأيه فى الموضوعات التى تتضمنها الرسالة ووافانى بمعلومات قيمة عن أخويه فوزى المعلوف وشفيق المعلوف .

وعثرت منه على مخطوطة لملحمة فوزى المعلوف " على بساط الريح" .

وأرسل إلى بعض القصائد المخطوطة من نتاجه والتى لم تنشر بعد .

- ومنهجى فى دراستى يقوم على الرؤيا الداخلية للنصوص التى أبدعها هؤلاء الأدباء من قصيدة وقصة ومقالة ورواية ، والرجوع بالفكرة الفلسفية إلى مصادرها التى استقوها منها إن لم تكن من ابداعهم .

وتفسير بعض مواقفهم وآرائهم فى ضوء النظريات النفسية الحديثة ما أمكننى ذلك.

- وفى دراسة مواقفهم من مظاهر التأمل كان منهجى دراسة موقف كل شاعر على حده

ثم موازنته بالآخرين وبيان مدى اتفاقه معهم أو اختلافه .

وقد يختلف موقف الشاعر نفسه من المظهر الواحد تبعا لتطور الزمن ونضوج الفكرة عنده ، وقد يتفق بعْضُهم حول رأى واحد ، وقد يقلد بعضهم البعض الآخر ، أو يعيش فى ظل آراء الآخرين ، وبعد ذلك استخلصت النتائج التى تمخضت عنها دراسة كل مظهر وكان اختيارى للشعراء على أساس تفوق الشاعر فى المظهر الذى أدرسه .

ويلاحظ أننى كررت الشوامخ كثيرا من أمثال جبران ونعيمة وأبى ماضى وليس هذا بمستغرب فهم بلا شك لهم فى كل مظهر الباع الطويل .

وذلك لا يعنى أننى غمطت الاخرين حقهم . طالما لهم رأى منفرد يستحق التنويه به . وقد بنيت بحثى على مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة.

وذكرت فى المقدمة أسباب اختيار الموضوع والدراسات السابقة المتعلقة به ، ومصادره ووضحت فى التمهيد الخطوط الأولى لنشأة هذا الأدب التى تتمثل فى الهجرة وزمنها وظروفها ثم بيان بواعثها المختلفة .

ودرست فى الباب الأول : التأمل مدلوله وبواعثه " وهو يتكون من فصلين .

والفصل الأول : يتكون من أربعة مباحث :

أ - المدلول اللغوى للتأمل وتطوره .

ب - المدلول الفنى وبيان كنهه ، وكيف ينشأ .

جـ - التأمل والشاعر العربى .

د - بين الفلسفة والتأمل .

وفى الفصل الثانى درست بواعث التأمل وراعيت فيها دراسة هذه البواعث على ضوء الظروف التى مر بها أدباء المهجر من النواحى المختلفة النفسية والثقافية والاجتماعية والسياسية.

وخصصت الباب الثانى لدراسة مكانة التأمل بين الاتجاهات الأدبية الأخرى ، وطرق التعبير عنه ، وبيان خصائصه عند المهجريين وأهم المؤثرات التى أثرت فى أدبهم .

وهويتكون من فصلين ، بينت فى الفصل الأول الاتجاهات المتعددة فى الأدب المهجرى فى إجمال . وأوضحت فى الفصل الثانى طرق التعبير عن التأمل فى الشعر وفى النثر . وأبرزت فى الفصل الثالث أهم الخصائص والمؤثرات .

وفى الباب الثالث :

درست مظاهر التأمل ، وراعيت فى هذه الدراسة التحليل والموازنة بين مواقف الأدباء ، والاستنتاج المبنى على مقدمات صادقة ، وربط موقف الأديب بالظروف المتباينة التى عايشها وأثرت فيه .

ويتكون هذا الباب من سبعة فصول :

الفصـــل الأول : أبعاد الرؤية الدينية .

الفصـــل الثانى : الوجود

الفصـــل الثالث : النفس الإنسانية

الفصـــل الرابع : الحب

الفصل الخامس : الطبيعة

الفصل السادس : الموت

الفصـــل السابع : الحياة

وفى الخاتمة ، ذكرت أهم النتائج التى توصلت إليها بعون الله وتوفيقه .

وبعـــــد :

فهذا الأدب العريق الصافى الضارب بجذوره فى أعماق التربة الإنسانية ، والمحتضن بفروعه المثمرة سماء الأحلام التى تعرج إليها الأرواح الظمأى إلى الحقيقة والخلاص . حرىٌ بالدراسات الجادة المتعددة التى تجلو وجهه الحقيقى الذى يزداد جلاء جيلا بعد جيل .

وأمل أن تكون دراستى أدت دورا فى هذا المجال . « وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » .

دكتور : صابر عبد الدايم

الزقازيق – غرة شعبان المبارك ١٤١٢هـ

٥ من فبراير سنة ١٩٩٢

تَمْهيد

(١) النشأة (أ) الجذور والمنابع :

إن الجذور الأساسية لأدب المهجر تضرب بأصالة فى أعماق الأرض التى احتضنت البذور الفطرية الأولى لهذا الأدب . والتى آتت أكلها بعد ذلك طيبا حينما وطئت أقدامهم أرض العالم الجديد حيث تعددت الروافد التى غذت أدب هؤلاء المهاجرين فى مهاجرهم ، والأرض هى سـوريا ولبنان . وكانتا خاضعتين فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين للحكم العثمانى ، " ورأت الدولة العثمانية أن خير وسيلة لإضعاف لبنان ، واخضاعه لسيطرتها ، هى إثارة الفتن بين سكانه . وقد بدأت نيران هذه الفتن تندلع منذ سنة ١٨٤١ م حتى بلغت ذروتها فى فتنة الستين ، التى اشتركت فى تأجيجها الدولة العلية ، والدول الأوروبية ذات المصالح المتعددة فى لبنان والشرق ، ومنح الجبل على أثر ذلك نوعا من الاستقلال الذاتى ، وضعت أسسه سنة١٨٦١ م ونقحت بعد ثلاث سنوات وحمته الدول السبع التى اشتركت فى إعداده وهى الدولة العلية وانجلترا وفرنسة وبروسية والنمسة ثم إيطاليا التى إنضممت إليها سنة ١٨٦٤ .

وقد هيأ هذا النظام للبنان نوعا من الاستقرار ، إلا أنه ... أتاح للأجانب أن ينقضوا على اقتصاديات البلاد ، فى حماية القانون .

ولذا اضطر كثير من أبناء البلاد إلى تركها إلى المهاجر فى مصر واستراليا والأمريكتين (١) " وكانت الهجرة فرارا من واقع أليم جثم على صدر الأحرار ، والتماسا لواقع جديد يتنفسون فيه بحرية ويجسمون أحلامهم التى وئدت فى غياهب الجور والطغيان السياسى .

يقول نسيب عريضة من قصيدته " حكاية مهاجر سورى "

غريبـــا مـــن بـــلاد الشـــرق جئتُ ... بعيـــدا عـــن حمـــى الأحبـاب عشتُ
تَخـذْتُ أميركا وطنـــاً عـــزيـــــزا ... فكـــانت لـــى كأحســـن ما اتخـــذتُ
أتاهـــا للغنـــى غيـــرى وإنـــى ... كمـــا جـــاءوا مـــع الإقـــدام جئتُ
ولكنـــى طلـــبت بهـــا حيـــاة ... مـــع الحـــرية المثلـــى فنلْـــتُ (٢)

---

(١) الشعر العربى فى المهجر " أميركا الشمالية ص ١٨ - ١٩ د / أحسان عباس ، د / محمد يوسف نجم.
(٢) ديوان الأرواح الحائرة ص ٢٦٧ ، نسيب عريضه .

... وحين نتتبع مسيرة الهجرة، ومواكب المهاجرين فى شىء من الإيجاز نرى أن الهجرة بدأت أولا إلى أمريكا الشمالية ، ولم يتجه المهاجرون إلى جنوبها إلا بعد وصولهم إلى الشمال بنحو عشرين عاما . وكانت لهم أول الأمر مراكز للتجمع يلتقون فيها ثم يتداحون بعد ذلك فى المدن والضواحى والقرى الأخرى (١) .

أوائل المهاجرين :

وإذا حاولنا أن نتقصى المهاجرين الأول لنعثر على البذور التى غرسوها فى حقل هذا الأدب وشاركت فى نموه . نرى أن أول مهاجر هو اللبنانى " أنطون البشعلانى " سنة ١٨٥٤ م كما يذكر د / حسن جاد فى كتابه " أدب المهجر " ص ٢٧ ويوافقه د / خفاجى فى كتابه قصة الأدب المهجرى وقد نقلا هذا الرأى عن " فيليب حتى " ولكن د / محمد مصطفى هدارة يقول معقبا على رأى فيليب حتى " والواقع أنه الخورى إلياس الموصلى الذى دخل أمريكا سنة ١٦٨٨ ثم تبعه فلابيانوس كفورى سنة ١٨٤٩ م(٢) " وقد نقل هذا الرأى كما يذكر عن كتاب الشدياق " نثار الأفكار " .

ويذكر محمد عبد الغنى حسن أن ، أول عربى وطئت قدماه أرض كولمبس " هو الدكتور لويس صابونجى " ويذكر د / حسن جاد أن هجرته كانت عام ١٨٧٢ م ويذكر أنه هاجر بعد الأديب " ميخائيل رستم " وهو بذلك ينفى رأى " محمد عبد الغنى حسن " ويوافقه على هذا د / خفاجى .

ويتضح من عرض الآراء السابقة أن الهجرة بدأت مقدماتها تظهر منذ أواخر القرن التاسع عشر ما عدا هجرة : الخورى إلياس الموصلى سنة ١٦٨٨ م كما يقول الشدياق . ولم يكن لها أثر أدبى . ويلاحظ أن الهجرة كانت إلى الشمال أولا كما أوضحت سابقا . أما الهجرة إلى الجنوب فترجع إلى عام ١٨٧٤ م حيث كان أقدم المهاجرين شقيقين لبنانيين من عائلة " زخريا "

ثم تكاثرت الهجرة فى عام ١٨٨٠ م . حيث وصل أول مهاجر فلسطينى إلى تشيكى وهو " إلياس جبرائيل دعيق " .

---

(١) الأدب العربى فى المهجر ، ص ٢٦ ، د / حسن جاد .

(٢) التجديد فى شعر المهجر ، ص ٤٩ ، د / محمد مصطفى هدارة .

ثم وصلت طلائع المهاجرين إلى البيرو وكولومبيا عام ١٨٨٢ م وكان " سانتياغو " أول مهاجر الى المكسيك ١٨٨٢ (١) وجل المهاجرين كانوا من سوريا ولبنان والقليل من أبناء فلسطين . والهجرة من مصر إلى أمريكا كانت قليلة .

ومن الأدباء المهاجرين إلى البرازيل من مصر " محمود الشريف " ولـــه كتـاب بعنـوان " ساعة مع قازان " والى الأرجنتين " يوسف الدين الرحال " الذى ولد فى بولاق عام ١٨٦٣ م وهاجر إلى الأرجنتين عام ١٩١٠ م وقد ترجم معانى القرآن الكريم إلي الأسبانية .

وأشهر المهاجرين المصريين " أحمد زكى أبو شادى " وقد أقام فى الولايات المتحدة تسعة أعوام " ١٩٤٦ - ١٩٥٥ " .

ومن أوائل الدواوين التى ظهرت فى المهجر الأمريكى :

(أ) ديوان " الغريب فى الغرب " لميخائيل رستم الشويرى سنة ١٨٩٥ م .

(ب) ديوان " النحلة فى الغرب " للدكتور لويس صابونجى سنة ١٩٠١م .

(ج) ديوان " نسمات الغصون " لسليمان داود سلامة سنة ١٩٠٥ م .

(د) ديوان " نفحات الرياض " لرزق حداد . وقد أصدره بعد الديوان السابق .

وهذه الدواوين وغيرها من بواكير الشعر المهجرى فى طوره التقليدى الذى لا يخرج عن التجارب القديمة مثل المدح للسلطان والرثاء والمعارضة لقصائد الأقدمين . إلا أن ذلك لم يمنع أن تكون هناك بذور جديدة أثمرت بعد ذلك وظهرت جلية فى نتاج كبار أدباء المهجر أمثال جبران وأبى ماضى ونعيمة ، والقروى ، وشفيق المعلوف وفوزى المعلوف .

ورجوعا إلى بيئة لبنان خاصة فى القرن التاسع عشر نرى أن المهجريين سبقوا بإرهاصات أدبية مهدت الطريق لهم . وكونت مزاجهم الثقافى ورحلوا والبدايات الأولى تتأهب لتشق تربة أعماقهم وتخرج للنور الجديد فى العالم الجديد .

---

(١) الشعر العربى فى المهجر - محمد عبد الغنى حسن ، ص ٢٥ . عن كتاب " الناطقون بالضاد فى أمريكا " ص ١٩ .

وتمثلت هذه الإرهاصات فى المعالم التالية :

(أ) الترجمات :

والترجمة هى أول درجة فى سلم الارتقاء الثقافى

١ - وتمثلت الترجمة فى قصة " روبنسون كروزو " لدانيال ديفو " التى ترجمها بطرس البستانى وطبعت بمطبعة المبشرين الأنجيليين بمالطة سنة ١٨٣٥ م ، باسم التحفة البستانية فى الأسفار الكروزية " "وروبنسون كروزو " بطل القصة يمثل فى القصة الفتى البورجوازى برغبته الشديدة فى المعرفة وإيمانه بالتجربة العلمية وركوب متن المخاطر وفى علاقاته بالطبيعة التى تكتنفه وبالخالق الذى برأه وبرأ الكون " (١) وهو نموذج للفتى المغامر الذى تستطيع أن تقول إنه تكرر فى صورة كثيرة من شخصيات المهجريين وتصرفاتهم ، فهو لم يكتف بالرحلة إلى البرازيل برغم تحطم سفينته فى البحر ، بل حمل نفسه إلى مجاهل أفريقيا ، حيث قذفت به الأمواج إلى سواحل جزيرة مجهولة عاش فيها مدة تزيد عن عشرين سنة قضاها فى التجربة والاختبار فى شئون الحياة العملية السهلة . " وعاش حياة نقية عكف فيها على قراءة الكتاب المقدس فعرف خالقه دون واسطة وحافظ على السبت وعلى النظافة الروحية والجسدية " (٢)

والقصة كانت خير تعبير عن أحوال الطبقة الوسطى الإنجليزية التى كانت آخذة فى النمو فى القرن الثامن عشر وهى من ناحية أخرى تحتوى على إرهاص بما يؤول إليه حال المجتمع البدائى عند ما تطرأ عليه عوامل التمدين .

٢ - **كتاب : سياحة المسيحى " لجون بنيان "**

وترجم إلى العربية مرادا به أن يقدم بين يدى نصارى البلاد صورة واضحة لمجاهدة النفس والغلبة عليها واكتشاف طريق السعادة بواسطة قراءة الكتاب المقدس وتطبيق تعاليمه " (٣) . ولم تقتصر الترجمة على التوجيه الخاص بل قفزت خارج دائرة التوجيه لتلعب دورها فى المناخ العام ، واتجهت الترجمة إلى القصص" الرومانتيكية

(١) الشعر العربى فى المهجر " أمريكا الشمالية " ص ٢١ ، إحسان عباس ، محمد يوسف نجم .
(٢) المرجع السابق ص ٢٢ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

" نظرا لما فيها من معانى التحرر والانطلاق . وحب المغامرة والبحث عن المجهول حيث اتجه الكتاب إلى ترجمة قصص " جورج أوهنه ، وهنرى بوردو ، وألولف دنرى ، واسكندر دوماس ، " الأب والإبن " وأوغست شنيجل ، وبنسون دى تيراى ، وبرنارد ان دى سان بيير ، وأوجيه سو ، وشاتو بريان ، وفرانسوا كوبه ، وموريس لبلان . وغيرهم من الكتاب الرومانتيكيين ، ومؤلفى قصص المغامرات .(١)

(ب) التأليف :

ويلاحظ أن التأليف اتجه إلى المسرح والقصة وهى بواكير نهضة أدبيه أتت ثمارها فيما بعد ، وأول ما يقابلنا مسرحيات ، مارون النقاش وهى " أبو الحسن المغفل " ١٨٤٩ م ، و"البخيل " ١٨٤٧ م و " السليط الحسود " ١٨٥١ م وفى سنة ١٨٥٥ م أصدر فارس الشدياق كتابه الساق على الساق فيما هو الفارياق . وقد أبدع سليم البستانى فى عدة قصص . ويلاحظ أن أبطال قصصه تضم ملامح من شخصية " روبنسون كروزو " ، وشخصيات قصص دوماس وشاتوبريان واوجين سو ن وبرنارد ان دى سان بيير . ويظهر ذلك واضحا فى قصصه " الهيام فى جنان الشام " و " أسماء " و " بنت العصر " وفرح أنطون يأتى بمقالاته وقصصه ومسرحياته .

وقد كان للقضية الدينية ، وللسلطة الاجتماعية والسياسية والثقافية للكنيسة فى لبنان أثر فى أدبه . شأنه فى ذلك شأن الشدياق من قبل وجبران والريحانى ونعيمة من بعده (٢)

– وإذا كانت الملامح السابقة تكون لنا الجذور التى تمثل المنابع الثقافية والاجتماعية والسياسية لتكوين عقلية المهجريين على مستوى بيئتهم إضافة إلى العوامل التى أثرت فيهم فيما بعد وتلقوها خارج بيئتهم فكيف يا ترى شقت هذه الجذور ظلمة الجماد وفتتت جمود الأرض لترى نور الحياة وتثمر وتؤتى أكلها . وكيف شقت هذه المنابع مجراها بين الصخور لتفيض بالكوثر المعسول على شفاه المغتربين فتغذى مشاعرهم وتزيد من شحنات أرواحهم المتدفقة وتدفعهم إلى التأمل المركز ..؟

إن المهجريين آمنوا بأنه لا بد من روابط تجمع شملهم وعنها تصدر أعمالهم الإبداعية

---

(١) انظر كتاب : فن القصة : د محمد يوسف نجم

(٢) الشعر العربى فى المهجر – أحسان عباس ومحمد يوسف نجم ص ٣١ ، ٣٢ .

فكونوا الروابط الأدبية وأشهرها رابطتان :

(أ) " الرابطة القلمية فى الشمال " (ب) العصبة الأندلسية فى الجنوب .

الرابطة القلمية :

فى أبريل عام ١٩٢٠ التقت آراء جماعة من أدباء المهجر فى أمريكا الشمالية حول فكرة واحدة هى ضرورة إنشاء رابطة توحد جهودهم وتكتل قواهم ، وقد أطلقوا عليها اسم الرابطة القلمية . واتضح اتجاهها الأدبى الذى يبحث فيما وراء الأشياء ولا يكتفى بالقشور فى الشعار الذى قام بتصميمه جبران خليل جبران ووضع معه هذه العبارة :((لله كنوز تحت العرش مفاتيحها ألسنة الشعراء)) وأعلنوا رأيهم فى الأدب حينما قالوا : الأدب هو الذى يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها [١] ، والأديب هو الذى خص برقة الحس ودقة التفكير وبعد النظر فى تموجات الحياة وتقلباتها، وبمقدرة البيان عما تحدثه الحياة فى نفسه من التأثير[٢] ولقد أحدثت الرابطة القلمية تأثيراً كبيرا فى نهضة الشعر العربى بالمهجر كما أحدثت ثورة عارمة من أنصار القديم عليها . ولكنها شقت طريقها فى عزم وإصرار حتى أصبح لها أنصار فى كل مكان [٣] . وعن الرابطة القلمية صدرت الأعمال الأدبية التى توضح إلى حد بعيد مدى إغراق المهجريين فى التأمل فى كل مجالات الوجود وما وراءه والنفس الإنسانية والطبيعة وما وراءها ، وقيم الحياة من خير وشر وحب وبغض . وكان للشماليين فى هذه النزعة الباع الطويل وفى مقدمتهم ميخائيل نعيمه بشعره ونثره ومنهجه النقدى الذى عبد به الطريق أمام الأدباء الآخرين وفى كتابه الغربال يقول : إذن فالأدب الذى هو أدب ، ليس إلا رسولا بين نفس الكاتب ونفس سواه والأديب الذى يستحق أن يدعى أديبا هو من يزود رسوله من قلبه ولبه .

إن " الرابطة القلمية " ما كانت لتقدم هذه المجموعة إلى قراء العربية لولا اعتقادها بأنها قد اتخذت من الأدب رسولا لا معرضا للأزياء اللغوية والبهرجة العروضية ، وقد تكون مخطئة فيما تعتقد . لكن إخلاصها فى الأقل يشفع بخطئها . فهى لا تدعى لهذه المجموعة أكثر مما تستحق . فإن لم يكن لها الا تشويق بعض الأرواح الناشئة إلى طرق الأدب عن سبيل المعجمات فحسبها ثوابا [٤] .

(١) " جبران " لميخائيل نعيمة ص ١٧٢ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) د / حسن جاد : الأدب العربى فى المهجر ، ص ٦٣ .
(٤) ميخائيل نعيمة – الغربال ص ٢٧ – ٢٨ .

وقد ظلت الرابطة إلى عام ١٩٣١ ثم تبعثرت بوفاة جبران ثم رشيد ونسيب وندرة وغيرهم ثم بعودة ميخائيل نعيمة إلى لبنان .

العصبة الأندلسية :

وما إن آذنت شمس الرابطة القلمية بالمغيب حتى سطع هلال العصبة الأندلسية فى الجنوب . وكان قيام العصبة الأندلسية فى " سان باولو " سنة ١٩٣٣ م وكان صاحب فكرتها : شكر الله الجر الذى وجد عند ميشال معلوف الاستعداد للتنفيذ لتقوم العصبة مقام الرابطة التى انفضت من الشمال .

وقامت هذه العصبة : لتجدد طبيعة الشعر العربى ولكن فى هدوء وفى غير ما عنف أو ثورة . كما أنها لم تجعل من أهدافها قطع الصلة تماما بين الشعر الحديث والشعر العربى القديم بل كانت على العكس من ذلك راغبة فى بقاء شىء من القديم يصل الماضى بالحاضر ولا يقطع العرب المحدثين عن التراث الفكرى لآبائهم الأقدمين (١)

ومن أعضاء العصبة البارزين : فوزى المعلوف ورياض المعلوف وشفيق المعلوف والياس فرحات والقروى وشكر الله الجر . وكان لهذه العصبة دور فى التأمل وان يكن مخالفا لمنهج الرابطة القلمية . فبينما كان طابع الشماليين التأمل والحيرة . كان طابع الجنوبيين الدعوة إلى تهذيب الواقع وتعميق الإحساس القومى والحنين إلى أرض الوطن والتفاخر بالمآثر العربية والأمجاد القديمة . ولا يمكن أن نَغْفل مطولتى فوزى المعلوف " على بساط الريح " و " شعلة العذاب " (٢) والأخيرة لم تتم ومطولة شفيق المعلوف " عبقر و أحلام " ومطولة الياس فرحات " أحلام الراعى ووقفة "شكر الله الجر" عند " شلال تيجوكا " والربيع الأخير للقروى ورباعياته الموجودة بديوانه وغيرها من القصائد التى تزخر باثارة مشكلات الحياة وهموم الإنسان .

ويمكن أن نقول : إن موقف الشماليين هو الهروب من الواقع وعدم القدرة علي مجابهته أو الثورة عليه وتحديه .. والرغبة فى التغيير وغالبا ما تنأى عنهم أمانيهم . أما موقف الجنوبيين فهو دائما المواجهة والتصدى ومحاولة التغيير فى هدوء والتسليم أحيانا بالواقع المفروض .

- فنعيمة يقول فى حيرة وقلق :

---

(١) د / محمد مصطفى هدارة : التجديد فى شعر المهجر ص ٥٢ .

(٢) وصلتنى مخطوطة لهذة المطولة بخط يد شقيق الشاعر وهو الشاعر رياض ملعوف .

أطلقت قلبي عند الغروب
ليتسلى مع القلوب
فعاد قلبي بعد الغروب
يشكو إلى ثقل كروبي

* *

أرسلت طرفي بين النجوم
وقلت على أنسى همومي
فطاف طرفي بين النجوم
ولم يشاهد سوى غيومي (١)

وهذا الشعر كثيرا ما يسيطر علي نعيمة وهو من أبرز أدباء الرابطة القلمية – وقد قال الأبيات السابقة فى سنة ١٩٢٢ " ألف وتسعمائة واثنتين وعشرين ، ويلازمه هذا الشعور ويتكثف حتى يتخيل الحياة قبوراً تدور يقول من قصيدته " قبور تدور وقد كتبها فى سنة ١٩٢٨ ألف وتسعمائة وثمان وعشرين :

فخلي جمالا يراه الغرور وليست تراه عيون الدهورْ
وخلي الجهاد ، وخلي الطموح وخلي القصور ، وحيَّ القبورْ
ودوري مع الكون جيلا فجيلا فهل نحن الا قبور تدور (٢)

ويقول أبو ماضى :

أسير فى الروضة عند الضحى حيران كالمدلج فى فد فد
أمامي الماء ولا أرتوى وحولى النور ولا أهتدى

* *

ياسائلي عن أمسي كيف انقضى دعه وسلني ياأخي عَنْ غد
أروح للنفس وأغْنالها أن تحسب الماضى لم يولد (٣)

(١) ميخائيل نعيمه همس الجفون ص ٦٥ .
(٢) ميخائيل نعيمة همس الجفون ص ٧٠ .
(٣) إيليا أبو ماضى تبر وتراب ص ٣٠ .

ويقول بدافع من الشعور نفسه :

جُعْتُ والخُبْزُ وفيرٌ في وطابي ... والسنَّا حَولي وروحي في ضباب
وشربت الماء عذباً سائغاً ... وكأني لم أذق غير سراب
حيرة ليس لها مثل سوى ... حيرة الزروق في طاغي العباب (١)

ويثور جبران على المجتمع وتقاليده ، وقد كانت ثورته انفعالات صارخة كثيرا ما ضاع صداها ، وفي قصة " يوحنا المجنون " يتجسد هذا الشعور حينما يقول على لسان يوحنا مهاجما رجال الدين المسيحي " تعال ثانية يايسوع الحي واطرد باعة الدين من هياكلك فقد جعلوها مغائر تتلوى فيها أفاعي زيفهم واحتيالهم ، تعال وحاسب هؤلاء القياصرة فقد اغتصبوا من الضعفاء مالهم ومال الله .(٢)

وشفيق معلوف وهو من أدباء الجنوب : العصبة الأندلسية يقول وهو يقابل الحياة متحديا همومها :

وحَجَبْت عن أهل الحياة دموعهم ... ودرت عليهم بالرحيق المبرَّد
أقول لنفسي إن تنهدت فازفري ... رويدا على جَمْر العذاب المرمَّد
وعُضّي يسن البشْر ثغرك وانحري ... على شفتيه زفرة المتنهد (٣)

وقد يخضع أدباء الجنوب ويستسلمون بل ويرحبون بمآسي الحياة وقلوبهم تطفح بالمرارة فنرى زكي قنصل يقول :

وَيْح قلبي قست عليه الليالي ... وهو راضٍ بما يلاقي ، سعيدُ
أَلِف النَّار فَهْي بَرْدٌ عليه ... كلما مات وقْدُها يستعيدُ
يحتفي بالهموم ..ما انجاب هم ... عنه إلا تلاه هم جديدُ (٤)

ولا شك أن مثل هذا التصور للحياة لا يعمق مفهومها ولا يساعد موكبها على الاستمرار فما معنى أن يسعد الإنسان بقسوة الليالي ؟ . وما جدوى أن يستعيد نار العذاب ؟ وهل من السائغ أن يحتفي الإنسان بالهم ؟ اللهم إلا في لحظات اليأس القاتلة . وكان رئيس العصبة "ميشال معلوف" و نائبه " داود شكري " و" أمين السر " " نظير زيتون " وأمين الصندوق "

(١) إيليا أبو ماضي تبر وتراب ص ٧٤ ، ٧٥ .
(٢) جبران خليل جبران : عرائس المروج ص ٣٩ .
(٣) شفيق معلوف : نداء المجاديف ص ٧٤ .
(٤) مجلة الأديب ص ١٦ من قصيدة : الطور الشامخ لزكي قنصل .

يوسف البعيني " وخطيبها " جورج حسون معلوف " . وأصدرت العصبة مجلة باسمها وكان يرأس تحريرها : " حبيب مسعود " . وكما انتهت الرابطة القلمية ، انتهت وتوقفت العصبة الأندلسية بعد أن تفرقت مجلتها . ولم يبق منها سوى آثارها وروائعها الناطقة .

- وأسوةً بالرابطة القلمية والعصبة الأندلسية ظهرت جماعات وأندية أخرى لكنها لم تحدث الدوى الذى أحدثته السابقتان ومن هذه الجماعات :

(أ) رابطة منيرفا - أسسها أحمد زكى ابو شادى ونعمة الحاج .

(ب) رواق المعرى - وهى حلقة أدبية تكونت فى سان باولو برئاسة نعوم لبكى .

(جـ) الرابطة الأدبية - تأسست فى الأرجنتين عام ١٩٤٩ وصاحبها جورج صيدح .

(د) جمعية الإخاء العربى - تأسست فى فنزويلا وكان اتجاهها وطنيا (١).

وأظهرت هذه الروابط مواهب المهجريين وعبرت عن آرائهم ونقلت أصواتهم النائية المشوبة بأنين الغربة وأصداء الحنين إلى بلادهم وبلاد العالم كله .

الهجرةُ بواعث وظروف :

ومما يتصل بالتمهيد الذى أقدمه صلة عضوية هو التعرف على البواعث التى أدت إلى الهجرة للوصول إلى العوامل التى حركت فى المهجريين هذه المواهب وتلك الاتجاهات الجديدة في الأد ب وفي مقدمتها :التأمل"الذى كشف عن ثراء أرواحهم وأصالة فنهم ، وعمق تجاربهم " .

ووضعت أمامى ثلاث ملاحظات وأنا أتقصى بواعث الهجرة وهى :

أولا : أن الهجرة كانت فى الأغلب الأعم من سوريا ولبنان .

ثانيا : أن المهاجرين اتجهوا إلى أمريكا فى ذلك الوقت ، فلماذا أمريكا بالذات ؟

ثالثا : أن أغلب المهاجرين كانوا من المسيحيين .

أولا : هناك أكثر من باعث دفع السوريين واللبنانيين إلى الهجرة وبتوضيح هذه البواعث أستطيع أن أفسرلماذا كانت الهجرة من سوريا ولبنان .

---

(١) أنظر كتاب : الأدب العربى فى المهجر د / حسن جاد . ص ٦٦٠

(أ) باعث سياسى :

ظل الشرق رازحا تحت حكم العثمانين أمدا طويلا وكان الحال فى الشام وسوريا ولبنان، أسوأ من غيره فى باقى البلاد العربية . وذلك فى المرحلة الأخيرة من الحكم العثمانى ويصف الخورى باسيليوس حال الشام آنذاك فيقول :((كأن ملائكة بيت لحم لما ترنمت فوق روابى اليهودية يوم ميلاد المخلص بتلك الترنيمة الشجية)) . ((المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام)) وقد استثنت البلاد التركية عموما وسوريا خصوصا من ((وعلى الأرض السلام)) فلم يحل السلام فى ربوع وطننا الحبيب ولا استتب الأمن فيه وما سبب تلك الشحناء بين أولاد الوطن الواحد سوى التعصب الذميم وعمال الحكومة التركية الذين تمشوا على سياسة " فرق تملك " (١) . والهجرة لم تبدأ بشكل جماعى إلا فى زمن الثورة العرابية . اذ أن فريقا من السوريين واللبنانيين كانوا قد هاجروا إلى مصر وسكنوا فى القاهرة والأسكندرية وبعض المدن الأخرى وقد اضطرهم الانذار البريطانى إلى مغادرة القطر المصرى الى أمريكا وأستراليا .

وتلك كانت بدء الهجرة علي نطاق واسع وأول هجرة شبه جماعية وكانت مقدمة للسيل الذى تدفق فيما بعد(٢) .

والحكم السياسى وجوره وعصبيته والضرائب الباهظة التى كان يفرضها على المواطنين العرب والأعمال الوحشية التى كان يرتكبها المواطنون الأتراك بدون رحمة أو إنسانية أو شفقة مما دفع النفوس التواقة إلى الحرية أن تلتمس لأصواتها الحبيسة وأفكارها السجينة منبرا حرا تعلن من فوقه ثورتها على الظالم والظالمين . وذلك يتضح فيما بعد فى ثورة المهجريين على نظام الاستبداد الفاسد وسيطرة رجال الدين المسيحى واستغلال الإقطاعيين والدعوة إلى الوحدة الوطنية والقومية العربية ونبذ العصبيات الإقليمية والدينية والسياسية وإلغاء الفوارق الطبقية . ويقول شكر الله الجر :

إيه لبنان يشهد الله أنا ما هجرناكَ عن قلى وصلابه

انما أصبح المقام بأرض الأرزْ للحر ذلة ومعابه

كيف لا يهجر الأبىّ مكانا ملأ اليأسُ جوَّه ورحابه(٣)

(١) الخورى باسيليوس : تاريخ الولايات المتحدة والمهاجرة السورية : نقلا عن محمد مصطفى هدّارة فى كتابه : التجديد فى شعر المهاجر .

(٢) د / محمد عبد المنعم خفاجى قصة الأدب المهجرى ص ٢٠ .

(٣) شكر الله الجر ديوان الروافد ص ١٨ .

(ب) باعث اقتصادى :

((كان لبنان فى القرن الماضى مجتمعا زراعيا ألَمَّ بِحظٍّ ضئيل من الصناعات اليدوية البدائية التى يحتاج اليها أبناؤه فى حياتهم الساذجة . وكان فلاحوه يعتمدون على الأساليب البدائية فى البذور والجنى ، وعلى طرق الرى الطبيعى أو على ماتبقى من مشروعات الرى التى قام بها الرومان ، مما أدى الى تناقص الأرض الصالحة للزراعة بفعل العوامل الطبيعية وتكرار المحاصيل واستنفاد المواد الطبيعية فى التربة وإلى ضعف نتاج ما تبقى منها – وقد تعاون الاقطاع وحلفاؤه من المؤسسات الدينية والحكومية في البلاد على إرهاق الفلاح بضروب العسف والطغيان ، وعلى محاربته فى عيشه ، فكان السيد الإقطاعى يتصرف فى هذه القطعان البشرية تصرف المالك ، وتأتى الضرائب الفادحة " كالويركو " والميرى لتقضى على بقية ماله من أمل ، وفى حياة بسيطة يكتفى فيها بخبز الكفاف "(١) .

وهناك عامل آخر كان له أثر كبير فى إضعاف مركز الصانع والفلاح . هو الاستدانة من المصارف الأجنبية التى انتشرت فى البلاد بعد الستين ، بربا فاحش ، كان كثيرا ما يؤدى إلى تراكم الديون على المستدينين ، فيضطرون إلى بيع أراضيهم أو تصفية مصانعهم ، فتتلاشى بذلك تدريجيا موارد الرزق ورءوس الأموال ، فيضطر اللبنانى إلى أن يولى وجهه شطر المهجر المصرى أو الأمريكى ، انتجاعا للرزق وسدًا للعوز ودفعا للفاقة (٢).

ويقول الأستاذ أنيس المقدسى : وكان الباعث الأكبر على المهاجرة هواختلال الأحوال الاقتصادية فى السلطنة العثمانية بفساد الحكومة الاستبدادية حتى تضعضع الزمن وسادت الفوضى ، ودرس العلم ، وثقلت المعيشة .(٣)

(جـ) باعث تاريخى قديم :

ليس النزوح عن الوطن بجديد على السوريين واللبنانيين ، فهم ورثة الفينيقيين الذين كان دأبهم الحل والترحال والتجوال فى آفاق الأرض (٤).

(١) أنظركتاب : الشعر العربى في المهجر ص ١٤ أحسان عباس . د محمد يوسف نجم " بتصرف .
(٢) المرجع السابق ص ١٩ – ٢٧ .
(٣) أنيس المقدسى : الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث جـ٢ ص ٦٨ .
(٤) د/ محمد مصطفى هدارة : التجديد فى شعر المهجر ص ٣٠ .

ويفسر الأستاذ صروف هذا الباعث بحب الشاميين للهجرة والتجارة فيقول : إن الغريزة التجارية التى ورثها السورى عن أسلافه الفينيقيين ، وفقر بلاده ، والأحوال السياسية فيها فى أثناء الحكم العثمانى ، حملته إلى أربعة أقطار المعمورة (١) . ولا يضير السورى أو اللبنانى أن يهاجر إلى أى مكان يستطيع أن يجد فيه اليسر والرخاء والاطمئنان الحيوى والأمن على النفس والمال لأن حب الهجرة والاغتراب وحب السعى فى الأرض وحب التجارة والعمل من أجل الحياة كله كالغرائز المتأصلة فى نفسه العميقة فى مسارب دمه (٢).

ثانيا : لماذا كانت الهجرة الى أمريكا :

وكيف نشأت العلاقة بين هؤلاء المهاجرين وبين أمريكا حتي يتوجهوا اليها ؟ .

ولا شك " أن الإرساليات التبشيرية والمنشآت التى أنشأها الأمريكيون فى سوريا ولبنان والمدارس التى بنوها لتعليم الصغار والكبار كانت من أهم العوامل التى وثقت الصلة بين أهل سوريا ولبنان وأمريكا . ومما يقوى من هذا العامل روح التسامح الذى كانت تتسم به أمريكا وجو العصبية الدينية الذى كان يخيم على العثمانين .

وانتشار الثقافة الأمريكية عن طريق الإرساليات الخاصة من أهم الأسباب التى جعلت أهل الشام ينزحون عن وطنهم متجهين إلى أمريكا ينشدون الحرية ويتوقون إلى العدل والمساواة .

وإلى جانب التأثير الثقافى وجو الحرية الذى أغرى الشاميين نرى هناك عاملا آخر مهما رغبهم فى الهجرة إلى أمريكا وهو : سهولة الهجرة إلى هذه البلاد النائية :

فلم تكن هناك قيود على الهجرة والمهاجرين اليها وليس فى قوانينها ما يقيد حرية المهاجر فى اختيار العمل الذى يريده وفى شق طريق الحياة بالوسائل التى يختارها ، وفرص الغنى والثراء كانت كثيرة ومواتية . فأراضيها فسيحة والسكان قليلون وشتى مرافق الصناعة والزراعة والتجارة فيها فى حاجة شديدة إلى الأيدى العاملة .

---

(١) فؤاد صروف : مشاهد العالم الجديد نقلا عن محمد مصطفى هدارة فى كتابه التجديد فى شعر المهجرص ٣٠

(٢) د / خفاجى : قصة الأدب المهجرى ص ١٦ .

والقرن الماضى فى لبنان شهد ظهور الطبقة البرجوازية المستضعفة من صغار الملاك والتجار والصناع والموظفين والفلاحين . وأن مصالح الطبقة المثقفة التى نشأت فى مدارس البعثات التبشيرية ارتبطت بمصالح هذه الطبقة فكان أدبها تعبيرا عن البرجوازية " اللبنانية الناشئة وما يقوم عليه من الفردية والمنافسة والتزاحم بالمناكب (١) .

ثالثا : وأما الظاهرة التى تدعو إلى التساؤل وهى : أن أغلب المهاجرين كانوا من المسيحيين .فنضيف باعثا آخر للهجرة وهو :

الباعث الدينى :

وهذا أمر طبيعى نظراً للحوادث الدامية التى أحدثها التعصب ضدهم والتى أشعل نارها وما يزال إلى الآن النزاع الطائفى المرير والصراع حول السلطة . وإلى جانب النزاع الطائفى ، يضيف د / خفاجى مشاركا فى تفسيرهذه الظاهرة فيقول : " ولا نستطيع أن نغفل العقيدة الدينية وأثرها الفعّال فى التشجيع على الهجرة . إذ أن بعض المتدينين الأوروبيين الذين كانوا يؤمون بيت المقدس كانوا يعودون إلى بلادهم ببعض الأصواف المصنوعة فى فلسطين وبكثير من الأيقونات والمسابح والشارات الدينية المختلفة ، وقد أحذق أولئك الأتقياء الأوروبيون بعض ذوى النباهة والحذق فى فلسطين للاتجار بتلك الأشياء ونقلها إلى أوروبا وبيعها للمؤمنين فيها(٢).

رابعاً – " باعث الصدفة "

والشاعر رياض المعلوف يرجع أسباب هجرته إلى " الصدف " وذلك فى رسالة أرسلها إلى مجيبا عن سؤال وجهته إليه حول البواعث التى دفعته إلى الهجرة والثمرات الأدبية والروحية التى أنضجتها تجربة الغربة : ورد قائلا " هى الصدف ليس إلا .. وزرتُ صيف ١٩٣٩ باريس وبعدها اتجهت إلى معرض نيويورك العالمى حيث شهدت عظائم الحضارة والمبتكرات الحديثة واجتمعت بأعضاء الرابطة القلمية ايلياأبو ماضى ، وليم كاتسفليس ، رشيد أيوب ، عبد المسيح وندره الحداد واسكندر اليازجى وغيرهم ...وشاء القدر أن تعلن الحرب العالمية الثانية وأنا فى نيويورك فذهبت إلى البرازيل لزيارة إخوتي فيها اسكندر وشفيق وأدمون وأختى أفليته وأخوالى وأعمامى فوصلتها فى منتصف شهر أكتوبر ١٩٣٩ ومن الصدف أيضا أننى تركت البرازيل

(١) د / أحسان عباس ، ومحمد يوسف نجم ، الشعر العربى فى المهجر ص ٣٤ .
(٢) مسعود سماحه : الديوان ص ٤٧ .

إلي لبنان عائدا بالتاريخ نفسه ١٩٤٦ (١) ولعل تأخر هجرة الشاعر رياض المعلوف وما هو فيه من رغد العيش وظروف نفسية مستقرة جعلت الهجرة لديه صدفة ليس إلا ... والبواعث التى فصلتُها سابقا بواعث عامة تشتمل على الظروف التى أحاطت بهذه الحركة الأدبية الجديدة ولا يمنع أن تكون هناك ظروف خاصة تحكمت فى بعض الأدباء.

(١) من رسالة أرسالها الشاعر رياض المعلوف إلى بتاريخ ٢٠ من يناير سنة ١٩٧٨ .